آيات الأمهات في القرآن الكريم
دراسة بلاغية
١- في ضوء علم المعاني.
٢- في ضوء علم البيان.
٣- في ضوء علم البديع.

إعداد

منى مذهي فرج العتيبي

جامعة ام القري

طالبة دكتوراة بجامعة ام القري

مجلة بحوث التربية النوعية ـ جامعة المنصورة

عدد (٣٥) ـ يوليو ٢٠١٤

آيات الأمهات في القرآن الكريم
دراسة بلاغية
١- في ضوء علم المعاني.
٢- في ضوء علم البيان.
٣- في ضوء علم البديع.

إعداد

منى مذهي فرج العتيبي*

باب علم المعاني

تعريفه

علم المعاني هو تلك الأصول والقواعد التي يُعرف بها كيفيّة مطابقة الكلام لمقتضي الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

موضوعه:

دراسة خصائص التراكيب اللغوية من حيث دلالتها على المعنى.

وغايته:

اختيار التركيب اللغوي المناسب للموقف، بحيث يدلنا على الطريقة السليمة لجعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تجول بالذهن.

ومؤسس وواضع هذا العلم هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ .

وينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب:

١ . باب الذكر والحذف:

أ . ذكر المسند والمسند إليه.
ب . حذف المسند والمسند إليه.
ج . حذف المفعول معه.
د . تعريف المسند وتنكيره.
هـ . تعريف المسند وتنكيره.

* جامعة ام القري - طالبة دكتوراة بجامعة ام القري

٢. القصر وأنواعه.

٣. التقديم والتأخير:

- تقديم المسند الاسمي على المسند إليه.
- تقديم المسند الفعلي على المسند إليه.
- تقديم المسند إليه على المسند الفعلي.
- تقديم معمولات الفعل.

٤. الوصل والفصل:

أ. الوصل.

ب. الفصل : كمال الانقطاع.

ج. الفصل: كمال الاتصال وشبهه.

٥. الإيجاز والإطناب والمساواة:

- إيجاز القِصَر.
- إيجاز الحذف.
- الإطناب.
- المساواة.

هذه هي أبرز وأهم أبواب علم المعاني، والواقع أن هذا العمل دقيق وواسع في دراسته للخصائص والتراكيب اللغوية.

من هنا سنلقي الضوء على بعض الآيات الكريمات التي ظهرت فيها واتضحت فيها بعض هذه الأبواب بوضوح، والتي بانت من خلال دقة تركيبها، ودقائق خصائصها اللّغويّة، وطريقة تنظيمها. وستشمل الدراسة بإذن الله تعالى نماذج منها كالتالي:

ذكر المسند والمسند إليه وحذفهما:

وأغلب الآيات اشتملت على حذف المسند إليه. قال تعالى: (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ)(الذاريات: ٢٩) في قصة زوجة إبراهيم عليه السلام.

فقد حُذف المسند إليه هنا بدلالة القرائن عليه، وقد فُهم من سياق الجملة

والمعنى: أي أنا عجوز عقيم.

فذكر المسند إليه هنا زيادة دلّت عليه القرائن، وحذفه أبلغ.

وأيضاً حذف المسند إليه في قوله تعالى: (فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ)(النساء: ١١)، أي:

ثلثا ما ترك الميت، فقد أُتِي بالمسند إليه مضمرا، لأن قرينة الحال دلّت عليه.

ومن لطائف الحذف أيضاً في قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي)(آل عمران: ٣٥). ((فَتَقَبَّلْ مِنِّي)): أي تقبل مني نذري ما في بطني. والسّر البلاغي في ذلك الإيجاز والاختصار، ولدلالة القرائن عليه، لذا حذف المسند.

وقد عُرّف المسند والمسند إليه في مواضع عديدة لأسرار بلاغية وأغراض. من ذلك قوله تعالى: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى) (آل عمران: ٣٦). فقد ذُكر المسند إليه هنا، وقد عُرّف بأل العهدية، والسّرّ في تعريفه لتقدّم ذكره تلويحا. فالذّكر وإن لم يكن مسبوقا

صريحا ، إلا أنه اشار إليه سبحانه في قوله (ما) في قوله: (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا)(آل عمران: ٣٥).

التقديم والتأخير:

قال الجرجاني في هذا الباب: ((هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مَسْمَعُه، ويلطف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللّفظ عن مكان إلى مكان))(١)

ومن الآيات الكريمات التي ظهر فيها هذا الباب من أبواب علم المعاني:

أ ـ قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ) (المائدة: ١١٦).

قُدّم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: (أَأَنتَ قُلْتَ)، وهذا يدل على أن الاستفهام متوجّه إلى تخصيصه بالخبر دون غيره، مع أن الخبر حاصل لا محالة.

فالمراد من هذه الآية تقريع النصارى، فالله سبحانه يعلم حقا أن عيسى لم يقل ذلك، ولكن أراد إعلان كذب من كفر من النصارى.

فالسؤال عندما أُلقي على عيسى تعريضا بالإرهاب والوعيد والعقوبة التي ستقع على من قال بأن الله عيسى وأمه(٢). ٩

ب ـ في قصة أم عيسى العذراء مريم، قال تعالى: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ)

قدّم الظرف للاهتمام به، وكلمة ((كل)) ظرف، والزمان محذوف، و ((ما)) هنا مصدرية، والعامل في ذلك قوله: ((وجد))، أي : كل زمان دخوله عليها وُجد عندها رزق(٣) .

ج ـ وأيضاً منه قوله تعالى في خطابه لمريم من سورة (آل عمران: ٤٣):

(يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ).

(1)دلائل الإعجاز ١٠٦.
(2)ابن عاشور ٢٧٠/٥.
(3)فتح القدير ٣٣٥/١.

نلحظ التقديم والتأخير في قوله : (وَاسْجُدِي وَارْكَعِي) .فقدم قدم السجود على الركوع، وذلك للأسباب التالية:

أ . إما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك.

ب . وإما لكون السجود أفضل أركان الصلاة، وأقصى مراتب الخضوع (١) .

الخاص الذي صار عاما والعكس:

وقد كثر هذا الاسلوب في آيات الأمهات ، من ذلك:

أ ـ قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)(الإنعام: ١٥١).

أي : تقدموا. وهذا من الخاصّ الذي صار عاما، وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه، وبعد ذلك كُثر واتُّسِع فيه حتى عمّ (٢) .

ب . من باب عطف العام على الخاص قوله تعالى: (وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)

(المائدة: ١٧)، وقد عُطف هذا العام على الخاص من أجل أن يكون قد ذكرا مرّتين،

مردة بالنص عليهما، ومرة بالاندراج في العام، وذلك على سبل التوكيد والمبالغة في تعلق نفاذ الإدارة فيها، وليعلم أنها من جنس الأرض لا تفاوت بينهما في البشرية (٣) .

ج ـ ومن ذكر العام بعد الخاص: (رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)(نوح:٢٨).

فقد دعا نوح عليه السلام بالمغفرة لنفسه، ثم لمن هم أقرب إليه ، لوالديه، ثم لمن دخل بيته من أقربائه المؤمنين، ثم أصبح الدعاء عاما للمؤمنين جميعا في كل مكان.

قال تعالى: (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ)(النساء: ١٧١).

الخطاب موجه لمن اعتقد أن لله شريكا في إلهيته سبحانه وتعالى، وخاصة النصارى الذين اعتقدوا انّ المسيح عيسى ابن مريم إله. وهذا القَصْر إضافيٌ إفراد،

إذا اعتقد المخاطب الشركة له ، وردًّا على من اعتقد أنّ الله ثالث ثلاثة.

والقصر إضافي باعتبار المقصور موصوفا على صفة، باعتبار المخاطب إفراد

في الإيجاز:

قال تعالى: (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)(مريم: ٢٠).

هنا إيجاز الحذف، ويكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، مع قرينة تعيين المحذوف، والمحذوف هنا حرف أصله: ولم أكنْ.

---

(1)الجدول ٣، ١٧٨/٤.
(2)فتح القدير ١٧٧،١٧٦/٢.
(3)البحر المحيط ٤٦٥/٣.

أسلوب التأكيد:

وقد كثر هذا الأسلوب في الآيات المدروسة في هذا البحث، فكل قضية يعرض لها السياق من القضايا الشائعة الشائكة يختم الحديث عنها بأسلوب تأكيد يتأكد فيه المعنى المقصود، ومثال ذلك: قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)(النساء: ٣٦)، حيث يؤكّد سبحانه عدم حبه لكل من اختال بنفسه وفخر بها، واشتغل بذلك عن عبادة ربه، وكل ما أمره به من إحسان إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين.

لقد اجتمع هنا أسلوب التأكيد مع النفي دليلا على عدم حبّه عزّ وجلّ لكلّ من اتصف بهاتين الصفتين.

التنكير:

قال تعالى : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي)(طه:٣٩).

فقد نكّر لفظ المحبة، لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية.

والمعنى: محبة عظيمة كائنة مني، قد زرعتها في القلوب، فكل من رآك أحبك بحيث لا يصبر عنك (١) .

نماذج تحليلية:

أ ـ قال تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)(إبراهيم:٤١).

((رَبَّنَا)): أسلوب نداء ودعاء، وقد أُكِّد هذا الدعاء بفعل الأمر ((اغْفِرْ)) المراد منه التّضرّع لله والإلحاح بطلب المغفرة، وهذه المغفرة التي يطلبها إبراهيم عليه السلام ويلحّ في طلبها لمن؟!

- اولاً: له هو ذاته.
- ثانيا: ينتقل إلى دائرة أوسع، وهي والديه (وَلِوَالِدَيَّ)
- ثالثا: تتسع هذه الدائرة ويطلب المغفرة (وَلِلْمُؤْمِنِينَ).

فبدأ طلب رحمة ربه ومغفرته مُنطلقا من ذاته إلى أمتّه التي أُرسل لها.

ولكن متى وما زمن هذه المغفرة التي حدّدها إبراهيم عليه السلام؟ إنها (يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)، أيك يثبت، وهو مستعار من قيام القائم على الرّجل، والدليل عليه قولهم: قامت الحرب على ساقها، ونحوه قولهم: ترجّلت الشمس، إذا أشرقت وثبت ضوؤها، كأنها قامت على رجل (٢) .

وقد أُسند الحساب إلى القيام إسنادا مجازيا.

ولكن إذا قيل : لماذا جاء ذكر الحساب، ولم يكن القول مثلا: يوم تقوم السّاعة، أو غير هذا اللفظ من أسماء يوم القيامة؟

---

(1)الجدول ١٥،١٦/٣٦٩..

(2)الكشاف ٢/٣٠٦.

قيل : الحساب: استعمال العدد، يُقال: حسبتُ أحسبُ حسابا وحسبانا. قال تعالى: (وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ)(الإسراء: ١٢) .

وقال تعالى: (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(البقرة:٢٠٢). أي : حسابه واقعٌ لا محالة.

وكلُّ واقع فهو سريعٌ، وسرعة حسابه سبحانه وتعالى أنه لا يشغله حسابُ واحد عن محاسبة الآخر، لأنه سبحانه لا يشغله سمع عن سمع ، ولا شأن عن شأن(١)

والحساب قد يقع ويحدث للإنسان في الدنيا قبل الآخرة، فإنه سبحانه قد يُعجل حساب عباده في الدّنيا قبل الآخرة.

لذلك خاف إبراهيم عليه السلام من ذلك، وهو مدرك أن ربّه سريع الحساب، (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)فتضرّع طالبا من ربه المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين. والله أعلم

ب ـ قال تعالى: (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) (هود:٧١).

حذف المفعول هنا، وتقديره: (سرورا)، والغرض من حذفه أنه هنا معلوم، فالضحك يستدعي السرور ويناسبه.

وأيضاً من أجل لفت انتباه السامع والقارئ لفتاً قوياً إلى إثبات الفعل للفاعل بحيث تتّجه الأذهان إليه، وتنحصر الأفكار فيه، وللإيجاز والاختصار وإثارة الانتباه إلى الفعل الذي هو ضحك زوج إبراهيم عليه السلام، واطمئنانها للضّيوف. كذلك

نلحظ أن الفعل (فَبَشَّرْنَاهَا) قد عُطف على الفعل ((فَضَحِكَتْ)) بحرف العطف الفاء الذي يفيد التعقيب.

فبعد ضحكها بُشرت بغلام.

وتقديم الضّحك على البشرى دليل قاطع على أن الضحك كان قبل البشرى، ولا توجد علاقة بين ضحكها وبشراها.

فبعد ضحكت وارتاحت نفسها للضيوف، وذهب الخوف منها، بشروها بالولادة وهي عجوز. والله أعلم.

ج ـ قال تعالى : (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ)(المجادلة:٢).

يتحدث سبحانه وتعالى في هذه الآية عن قضية شاعت قديما، وهي: الظهار، بمعنى إنزال الزوجات منزلة الأمهات في المعاشرة والتحريم، فيضع سبحانه الحدود الفاصلة لهذه القضية هنا.

والآية نزلت في المجادلة التي كانت تحاور وتجادل الرسول عليه الصلاة والسلام.

ونلحظ أن الخبر في الآية أتى فعلا مضارعا ((يُظَاهِرُونَ))، وهو يفيد التجدد والاستمرار، وقد عبّرت الآية الكريمة بالفعل المضارع، وليس بالفعل الماضي، لكي تخرج القضية من دائرة الأمر

(1)لسان العرب (ح س ب).

الخاص، وهو حيث كانت القضية خاصة بالمرأة وزوجها، إلى دائرة العموم، بحيث تشمل جميع من ظاهر ويظاهر مستقبلا زوجته.

د ـ (وَاللَّـهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) (**النحل**:٧٨).

هناك سؤال: لماذا عبَّرسبحانه هنا بالفعل الماضي ((أَخْرَجَكُم)) مع إنّه بالإمكان أن يكون التعبير بالمضارع: يخرجكم؟! فالمضارع يفيد الاستمرار والتجدد، وسبحانهما زال إلى يومنا هذا يخرجنا من بطون أمهاتنا، وإلى أن تقوم الساعة!!

الجواب، والله أعلم، أن الله سبحانه يذكر هنا النشأة الأولى، وهي إخراجنا من بطون أمهاتنا غير عالمين شيئا، تنبيها على وقوع النشأة الآخرة (١) .

ثم إن الفعل الماضي قد جاء من ذي قبل. قال تعالى: (ضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا عَبْدًا) (النحل:٧٥)، إن تكرار مجيء صيغة الماضي نوع من التناسق بين الآيات الكريمات والانسجام.

والله أعلم.

ثانياً: علم البيان

تعريفه:

البيان في اللغة: الكشف والإيضاح.

وفي الاصطلاح: أصولٌ وقواعدُ يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضُها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى، ولا بُدَّ من اعتبار المطابقة لمقتضي الحال دائما.

وأبواب علم البيان:

١. فن التشبيه.
٢. المجاز.
٣. الاستعارة.
٤. الكناية.

نماذج من علم البيان:

١. التشبيه البليغ:

في قوله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (الأحزاب:٦).

وهو تشبيه مرسل، حيث فيه تشبيه لزوجات الرسول الكريم بالأمهات في بعض الأحكام، وهي: وجوب تعظيمهن واحترامهن، وتحريم نكاحهن، ولذلك قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (لسنا أمهات النساء)، تعني أنهنّ إنّما كنّ أمّهات الرّجال، لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم، ولهذا كان لا بدّ من تقدير أداة التشبيه فيه (٢)

(1)البحر المحيط ٥/٥٠٥.
(2)الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ٢١/١٣١.

٢. التمثيل:

مثال ذلك قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ)(التحريم:١٠).

هنا وقع التمثيل، حيث مثل الله عزّ وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم، من غير إبقاء ولا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم ما كان بينهم وبين المؤمنين من نسب أو صلة صهر، لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق بينهم وبتّ الوُصَل، وجعلهم بمثابة الأجانب عنه، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيّا من أنبياء الله، كحال امرأة نوع وامرأة لوط عندما نافقتا وخانتا الرسولين، لم يغنِ الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من صلة الزواج، إغناء ما من عذاب الله (١)

٣. الاستعارة التمثيلية:

في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي)(طه: ٣٩).

تمثيل لشدة الرعاية، وفرط الحفظ والكلاءة، بمن يصنع بمرأى من الناظر، لأن الحافظ للشيء في الغالب يديم النظر إليه، فمثّل سبحانه وتعالى لذلك بمن يصنع على عين الآخر (٢) .

٤. الاستعارة المكنية:

ظهر لنا ذلك في قوله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ)(المائدة:٧٥).

وقد استُعمل الأمر بالنّظر في الأمر بالعلم لتشبيه العالم بالرأي والعلمِ بالرؤية في الوضوح والجلاء، وأيضا أفادت الآية معنى التعجب من حال الذين ادّعوا الإلهية لعيسى، واكتُسب هذا التعجب من أسلوب الاستئناف والاستفهام.

أما الاستعارة المكنيّة فقد برزت عندما استعيرت الآيات، وهي جمع آية، وتعني العلامة، للحجّة والبرهان، لشبهه بالمكان المطلوب عن طريق الاستعارة المكنية، إثبات الآيات له تخييل، شبّهت بآيات الطريق الدّالة على المكان المطلوب (٣) .

٥. المجاز:

تمثّل ذلك في قوله تعالى: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا)(آل عمران:٣٧)

المجاز في لفظ ((أَنبَتَهَا)) المراد منه تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها، فهو مجاز مرسل بعلاقة اللزوم، فإن الزارع يتعهد زرعه بسقيه عند الاحتياج وحمايته عن الآفات (٤) .

(1)السابق ١٠/٢٩.
(2)السابق ٣٧٠/٢٩.
(3)ابن عاشور ١٧٥/٥،١٧٦.
(4)الجدول في إعراب القرآن ١٦٨/٣

ثالثا: علم البديع

تعريفه:

وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة (١) .

ووجوه التحسين ضربان:

١. ضربٌ يرجع إلى المعنى (معنوية)، منه: المطابقة، والمقابلة، ومراعاة النظير، والمشاكلة، وإيهام التناسب، والتورية، ..... إلخ.

ويؤكد عبد القاهر رجوع التحسين في بعض الوجوه المذكورة في المحسنات البديعية المعنوية إلى المعنى فيقول: ((وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني الخاصة، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب))(٢) .

٢. ضربٌ يرجعُ إلى اللفظ، ومنه: الجناس بين اللفظين، والسجع، والموازنة، والقلب، والتشريع، ولزوم ما لا يلزم (٣) .

نماذج من علم البديع:

١. فن الاحتراس:

قال تعالى: (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا)(مريم:٢- ٣).

الاحتراس في قوله: (نِدَاءً خَفِيًّا). والاحتراس: عبارة عن أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل أو لبس أو إبهام، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي في صلب بما يخلصه من ذلك كله.

يقول أسامة بن منقذ: ((اعلم أن الاحتراس هو أن يكون على الشاعر طعنٌ، فيحترس منه...))(٤) .

فكلمة ((خَفِيًّا)) في الآية أتت مراعاة لسنّة الله في إخفاء دعوته، لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الأولى أن يحترس مما يوهم الرياء أمام الناس (٥) .

٢. الالتفات إلى الغيبة:

في قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)(آل عمران:٣٦) التفات من الخطاب إلى الغيبة إظهار لغاية الإجلال (٦) .

---

(1)الإيضاح في علوم البلاغة للقزوييني ٤/٦.
(2)السابق٥/٦.
(3)السابق ٩٠/٦- ١١٥.
(4)البديع في البديع ٩٠.
(5)الجدول في إعراب القرآن١٥،٢٦٩/١٦.
(6)السابق٣،١٦٤/٤.

٣. الجناس:

أ . الجناس الناقص:

في قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(مريم:٣٥) جناس ناقص بين قوله ((كُن))، وقوله: ((فَيَكُونُ)).

ب . الجناس المغاير:

((وهو أن تكون الكلمتان اسماً وفعلا (١)))

في قوله تعالى: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(آل عمران:٣٧).

في قوله: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ) وفي قوله : (وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا)، وقوله: (رِزْقًا)، و(يَرْزُقُ)(٢) .

٤. الطباق:

قال تعالى: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)(مريم:٣٣). الطباق بين قوله: (وُلِدتُّ)، و(أَمُوتُ).

٥. فن الإبهام:

في قوله تعالى: (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ)(طه:٣٨). الإبهام في قوله: (مَا يُوحَىٰ)

٦. التوشيح:

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران:٣٣).

في الآية فن التوشيح، وهو كما يقول قدامة بن جعفر في ((نقد الشعر)): أن يكون في أول الكلام معنى إذا اصطفاء المذكورين في الآية يعلم منه المفاضلة، لأن المذكورين صنف مندرج في العالمين (٣) ، ويقول ابن منقذ: ((اعلمأن التوشيح هو أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة، وإن كانت أطول منه))(٤)

٧. التعريف:

في قوله تعالى: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا)(مريم:٢٣).

---

(1)البديع في البديع٢٦.
(2)الجدول٣،٤/١٦٨.
(3)الجدول٣،٤/١٦١.
(4)البديع في البديع١٣٦.

التعريف في قوله: (النَّخْلَةِ)، والتعريف هنا لا يخلو: إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة، كتعريف النجم، والصعق، كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة مُتعالم عند الناس، فإذا قيل: جذع النخلة، فُهم من ذلك دون غيره من جذوع النخل.

وإما أن يكون تعريف الجنس، أي: جذع ذه الشجرة خاصة، كأنّ الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها من الرطب (١) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على صاحب أكمل الرسالات ﷺ . وبعد:

هكذا انتهت رحلتنا في المسير بين ضفاف آيات الأمهات في القرآن الكريم، والتدبر في روائع نظمها ودقائق أسرارها.

وبالرغم من ذلك ما زلت أشعر أنني بحاجة أكثر إلى السير في هذه الرحلة، لأرتشف أكثر من نفح بيان هذه الآيات الكريمات.

إن من أبرز النتائج التي تراءت لي بعد هذه الرحلة المباركة ما يلي:

أولا: أن لفظ ((أم)) في القرآن الكريم لم يرد فقط بمعناه الحقيقي كما في قوله تعالى: (فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ)(النساء:١١)، إنما ورد أيضاً بمعنى آخر مجازي كما في قوله تعالى: (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)(القارعة:٩).

ثانياً: أن القرآن الكريم فرّق بين ((الأم)) و((الوالدة))، حيث إن لفظ ((والدة)) أطلق على المرأة التي تنجب الطفل فقط. قال سبحانه: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)(البقرة:٢٣٣).

أمّا لفظ ((الأم)) فقد أطلق على الأصل الكريم الذي يتشرف الولد به ويفخر بانتسابه.

فهذا ابن مريم عيسى عليه السلام عندما تحث عن البر والإكرام ذكر وصف (الوالدة)، فجاء على لسانه: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي)(مريم:٣٢).

وعندما ذكر القرآن عيسى وصفات أمه مريم عليها السلام، أطلق عليها لفظ ((أم)) فقال جلّ وعلا: (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ)(المائدة:٧٥).

وعندما أراد سبحانه أن يبين لنا مشاعر الحنان الكامنة في ((الأم)) والشفقة التي تحملها لأولادها عبّر عنها بلفظ ((الأم)) فقال جلّ وعلا: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا) (القصص:١٠).

أضف إلى ذلك النماذج النيّرة التي ذكرها جلّ وعلا للأمهات المؤمنات، والأمومة الحقة التي تبني (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ).

وأخيرا فإن هذه الدراسة دراسة بيانية بالوقوف عند ضفاف معانيها ومواطن إعجاز ألفاظها في دلالتها على المعاني.

---

(1)السابق:ص٢٩.

وانبثق هذا النور من محبتي لكتاب ربّي جلّ وعلا إلهي وإلهكم. سبحانه لا إله إلا هو.

وختاما: المجتهد لا يخلو من الأجر أصاب أم اخطأ. والله ولي التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

كتب التفسير:

- أصول البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. عالم الكتب،بيروت.
- البحر المحيط. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- تأملات في سورة آل عمران. د/حسن محمد باجودة. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.١٩٩٢م. دار البلاد . جدة.
- تأملات في سورة مريم. د/ حسن محمد باجودة. دار الاعتصام.
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي. للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ.
- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د/بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، الطبعة الأولى،١٩٩٤، دار الفكر، دمشق.
- تفسير القرآن الكريم. ابن كثير، الطبعة الأولى،١٤٠٨هـ، بيروت، دار الفكر.
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه. تصنيف: محمود صافي. دار الرشيد، دمشق. بيروت، الطبعة الرابعة.
- سلسلة التفسير البسيط للقرآن الكريم. د/حسن محمد باجودة. الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٤٢٠هـ - ١٩٨٣م - ٢٠٠٤م. منشورات وزارة الشؤون الإسلامية.
- فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير. تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل في عيون الأقاويل ووجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. دار المعرفة، بيروت. لبنان.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي). أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. للإمام برهان الدين أبي إبراهيم بن عمر البقاعي. دار الكتب العلمية ، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م.
- الوجوه والنظائر، أبو عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: محمد حسن أبو العزم الزفيتي، القاهرة، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

كتب أخرى:

- الإتقان في علوم القرآن، القاضي أبو بكر الباقلاني، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.
- أساس البلاغة، للزمخشري.